ندوة الاسلام والتصوف

كرامات الاولياء
بين العلم والشعوذة

اجتمعت ندوة الاسلام والتصوف الشهرية فى مساء يوم الاربعاء الموافق ٧ من جماد الاول عام ١٣٧٨ هـ - ١٩ نوفمبر عام ١٩٥٨ م بدار المشيخة العامة للطرق الصوفية .

وقد حضرها من رجال الطرق الصوفية الاساتذة : حسين الجنيدى ، وابراهيم محمد ، ومحمد حسن الشعيبى ، وصديق محمد على ، وعبد الله السمان ، وسيد الجبالى .

وحضرها من أعضاء الندوة الاساتذة : السيد محمد محمود علوان ، والدكتور محمد يوسف موسى ، والدكتور محمد غلاب ، والدكتور محمد مصطفى حلمى ، والسيد ميرغنى الادريسى ، ومحمد لبيب البوهى ، ومحمد هارون الحلو ، وكامل البوهى ، ومحمد ابراهيم الجيوشى ، ومالك عثمان خضر ، وطه عبد الباقى سرور .

وافتتح الندوة سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، مرحبا بالسادة المجتمعين ، ثم عرض الاستاذ طه عبد الباقى سرور موضوع الندوة ، وهو :

كرامات الاولياء

● **سماحة الاستاذ السيد محمد محمود علوان**

فى افق حياتنا اليوم صيحات وآراء ، تستهدف التحلل من قواعد الدين ، والنيل من مقدساته ، وتجريح رجاله وعلمائه وأوليائه .

وبيننا قوم يتنادون بأنهم أهل فكر وعقل ، ونظر وفلسفة وانهم لهذا ، لا يؤمنون الا بما يقع تحت الحس ، وبما يثبته البحث وتؤيده التجربة .

ويتمادى هؤلاء وهؤلاء حتى رأينا منهم من ينكر معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ومن يدعى ان المعجزة الوحيدة لرسولنا الكريم صلوات الله عليه . هى القرآن فحسب .

والايمان بالغيب من أصول الدين الاولى ، ومن قواعده الثابتة والايمان بقدرة الله سبحانه على خرق العادة والناموس الطبيعى جزء لا يتجزأ من الرسالة المحمدية ، والاعتقاد بأن الله جل جلاله يجرى على يد الرسول أو الولى معجزة خارقة ، أو كرامة فوق ما تعود الناس من أمور الحياة ، من الامور التى ثبتت فى الدين بالكتاب والسنة واجماع السلف الصالح .

يقول الله سبحانه وتعالى : « **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون. نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** » .

وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تبارك وتعالى قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب . وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لا عيذنه »

ومن كان الله سمعه وبصره ويده ، كانت قوته فوق كل القوى ، وكان دعاؤه أقرب ما يكون الى الاجابة والى الكرامة والى خرق العادة .

وروى الامام مسلم فى صحيحة : « رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره » .

وهو دليل لا يدفع على أن الله سبحانه يجيب دعاء عبده الصالح ويكرمه بقضاء طلبه ، واجابة ملتمسه

والكرامة . هى ظهور أمر خارق للعادة ، على يد رجل صالح مؤمن ، غير مدعى نبوة أو رسالة ، وهى فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، وهى جائزة وواقعة عند أهل السنة بلا خلاف .

ولقد جاء القرآن الكريم والحديث الشريف بتأييدها وتوضيحها أما القرآن :

فقصة أهل الكهف ، حيث أقاموا فيه ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا نياما أحياء بلا مقومات ولا غذاء ، وليسوا بالاجماع من الأنبياء

وقصة مريم حيث حملت ولم يمسسها بشر ، ووجد الرزق عندها بلاسبب، وتساقط الرطب عليها من شجرة يابسة بلا موجب

وقصة آصف بن برخيا اذ أحضر عرش بلقيس من أفريقيا الى بيت المقدس فى طرفة عين .

وأما الحديث النبوى الشريف فيقدم الينا ألوانا شائقة ، كحديث جريج الراهب الذى كلمه الطفل الرضيع . وحديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة ، وحديث البقرة التى حمل عليها صاحبها أثقالا تنوء بها ، فالتفتت اليه وكلمته .

وهى أحاديث صحيحة رواها الشيخان البخارى ومسلم :

ولقد سبح الحصى بكف الصديق . وصاح عمر بن الخطاب وهو بالمدينة : يا سارية الجبل . فسمعه سارية وهو بنهاوند من أرض العراق .

ولقد أضاء سوط أسيد بن حضير حتى غدا كالمصباح عند خروجه من عند المصطفى عليه الصلاة والسلام فى ليلة مظلمة ٠

وكان حبيب بن عدى أسيرا عند المشركين بمكة ، فكان يرى وبيده عنب يأكله ٠ وليس بمكة منه حينئذ حبة واحدة ٠

وكان عامر بن قيس الصحابى العابد يأخذ عطاءه فى كمه فلا يجد سائلا الا أعطاه بغير عدد ثم يجىء الى بيته فيجد الدراهم كلها كاملة ٠

وكان البراء بن عارب من صحابة رسول الله اذا أقسم على الله أبره ٠

وكان سعد بن أبى وقاص اذا دعا استجاب الله لدعائه حتى كان أجلة الصحابة يحذرون غضبه ٠

تلك لمحات من كرامات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ ومع هذا يقول الامام الجليل احمد بن حنبل : وانما كانت الكرامات بعد زمن الصحابة أكثر ٠ لان قوة ايمان الصحابة لا يحتاج الى هذا ٠ ولان الزمن الاول كان كثير النور ٠ فلو حصلت لم تظهر كل الظهور ، لاضمحلالها فى أنوار النبوة ٠٠ بخلاف من بعدهم ٠٠ ألا ترى أن القنديل لا يظهر نوره بين القناديل بخلاف الظلام ٠٠ والنجوم لا يظهر لها نور مع ضوء الشمس

ولقد تعمدت ان أكثر من ذكر الكرامات التى حدثت فى زمن الرسول صلوات الله عليه لصحابته رضوان الله عليهم لانها متواترة لا سبيل الى انكارها ، أو الشك فيها ٠

والتاريخ بعد ذلك يحدثنا فى استفاضة عن كرامات الاولياء والصالحين٠ وكتب الطبقات والسير قد امتلأت بهذه الاحاديث ٠

بل اننا فى حياتنا الحاضرة رأينا بأعيننا هذه الكرامات يجريها الله سبحانه على أيدى رجال التصوف وأئمة الصالحين ٠

وسمعنا بآذاننا من الصادقين المتقين احاديث لا سبيل الى الشك فيها عن كرامات للمعاصرين من ابناء هذا الجيل ومن ابناء الجيل الذى سبقه ٠

واترك لاخواننا زمام الحديث ٠٠ ففى علمهم ومشاهداتهم بل ولعل فى حياتهم ، فيض دافق من هذا الحديث الكريم عن فضل الله الذى يؤتيه من يشاء من عباده المتقين العابدين ٠

● الدكتور محمد غلاب

ان الموضوع الذى تعرضونه علينا الليلة يبدو فى نظر كثيرين من أهل القرن العشرين الماديين الملحدين كأنه أخيلة واحلام ، أستغفر الله ، بل خرافات وأوهام ٠ وعذرهم فى ذلك واضح وهو أنهم انحبسوا برضاهم فى كهف العالم الحسى ، وأقاموا بينهم وبين النور حجابا سميكا جعل من المستحيل عليهم أن يلمحوا ما فى هذا العالم من مظاهر العناصرالروحانية المتلألئة ٠ ومع ذلك ، فان لنا موطد الامل فى أن الشرق مقر الروحانية ، ومهبط الوحى لم تغره مادية الغرب الى حد أن تحول دون شغفه بالاسرار

الخفية والاعاجيب الروحانية ، وفى مقدمتها كرامات الاولياء ولكن ليعلم المنقبون عن هذه الاسرار أنها تختفى عن كل ما يتعقبها فى صورة مادية ، ويحاول اخضاعها للمقاييس الحسية · ومن ثم فان سوء حظ الغرب المادى المفتون بعلومه الحسية ، أنه لا يعلم تلك القاعدة الهائلة التى مؤداها أن الحقيقة المجردة تختفى عمن يجحدها أو يرتاب فيها ، وانها ستظل بعيدة عن محيط أولئك العلماء الماديين الذين ·· يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون · والذين لايؤمنون بالمعجزات والكرامات ·

وأياما كان ، فاننا سنحاول هنا أن نمس هذا الموضوع الخطير مس الزهرة فنقول :

المعجزة هى أمر خارق للعادة يظهر على يدى الرسول تأييدا لرسالته ، أو هى وقائع الهية مخالفة فى مظاهرها للنواميس الطبيعية تحدث على الفور من الله اثباتا لرسالات الانبياء أمام منكريها ، وتكون بمثابة ايزان للنبى أن يصدع بما يؤمر ·

وأما الكرامة فهى كذلك أمر خارق للعادة أو للمألوف ، الا أن الفرق بينها وبين المعجزة أنها فيض الهى أو شخصى يمنحه الله للاولياء من عباده الصالحين ، لا ليثبتوا به شيئا ، وانما هو فضل ربانى خاص · ولهذا يحظر عليهم أن يذيعوه على الكافة والجماهير كما تزاع المعجزات · بل قيل انه لا يباح للاولياء اظهار الكرامات الا فى حالات السكر بالفيوض الصمدانية ، والا لاقترف الولى سيئة عظيمة ، وهى سيئة افشاء السر التى هى بالاجماع كبيرة من الكبائر ، بل ان الامام الغزالى يروى لنا فى الجزء الاول من الاحياء أن المكى يصرح فى كتابه « قوت القلوب » أن افشاء سر الربوبية كفر · ويقول احدى متتبعى المناقب : من حاول اثبات الولاية بالكرامة وكانت فيه سلبت منه · ومن حاول اثباتها ولم تكن فيه كفر ·

ومن ثم فان جميع صوفية المسلمين المتمسكين بالتقاليد الاسلامية النقية ـ وأقصد الذين لم يتأثروا فى تصوفهم بأية شائبة اجنبية ـ قد حرصوا كل الحرص على سرية الكرامات أو حصرها فى أضيق نطاق من الاصدقاء والمريدين · ومن هؤلاء ابراهيم بن أدهم ، وذو النون ، وأبو يزيد البسطامى وغيرهم · ولقد أجمع أهل السنة تقريبا على امكان الكرامات وثبوتها للأولياء ، كما أجمعوا على حظر ابدائها فى المجامع العامة · ومنشأ هذا الحظر فى نظر أولئك العلماء هو الابتعاد عن شبهة نسبة المعجزات العامة الى كائن من كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم الذى نص القرآن على أنه خاتم النبيين ، وأنبأنا هو بأنه آخر رسل رب العالمين ·

ولقد ظل هذا الرأى الذى انعقد عليه الاجماع أو كاد ، سائدا متى أثيرت قضية الحلاج فظهر من خلال ضوضائها غبار نقاش عنيف حول هذه المشكلة

مأتاه أن الحلاج قد أظهر كرامات عامة أراد بها تأييد بعض دعاواه ، فخلط بهذا بين الكرامة والمعجزة . وهنا تبلبلت العقول ، وثارت النفوس وبرزت الى الوجود نظريات جديدة ، فأعلن الباقلانى - وهو على رأس المدرسة الاشعرية اذ ذاك - أنه يقر (المخاريق) أو خوارق العادات التى تظهر على أيدى الصالحين والسحرة حسب الارادة الالهية .

وصرح المعتزلة بالجحود الشامل للكرامات حتى لدى الصحابة أنفسهم . وعلى رأس المجاهرين بهذا الرأى الجبائى وأبو هاشم اللذان لم يكتفيا بانكار هذه الكرامات ، بل أعلنا أن ما يظهر منها ليس الا شعوذة .

وقرر الفلاسفة المتأثرون بالآراء الاغريقية أن المعجزات والكرامات أمور طبيعية لا تختلف مع النواميس الكونية الا فى التحولات الظاهرية التى لا يعقلها الا الصفوة العالمون ، أى أن بقاء جسم ابراهيم على حاله من قابلية الاحتراق وبقاء النار على حالها من قابلية الاحراق ، ثم نزوله فيها دون أن يحترق أمر مستحيل ، أما طلاء جسم ابراهيم بمادة عازلة أو سلب النار القوة المحرقة وقت القائه فيها فهو ممكن ، ويسمى بالمعجزة .

وأما الامامية فقد جاهروا بأن الكرامات مقصورة على أئمتهم فحسب .

ومما يسترعى الانتباه فى هذا الصدد أن الاكثرية الغالبة من صوفية عصر الحلاج قد أدانوه ، ولكن لا انكارا للخوارق أو جحودا للكرامات ، بل لاقترافه جريمة « افشاء سر الربوبية » باعلانه الكرامات على رؤوس الاشهاد وأكثر من ذلك أنه هو نفسه قد صرح بأنه يستحق هذه العقوبة ، لأنه لم يتمسك بعهد الله حين أفشى السر الاعظم . وفى هذا يقول امام العارفين محيى الدين بن عربى : ان واجب النبى أن يظهر معجزاته لتأييد رسالته وأن واجب كل من جاء بعد النبى هو أن يخفى كراماته ، لأنه ليس رسولا ولا مشرعا . وبالتالى ليس فى حاجة الى التأييد .

هذا ولا يفوتنا ان نجمل هذا العرض بقولنا : ان اجماع أهل السنة ، لا يزال منعقدا على وجود الكرامات لأولياء الله الذين « **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »

وأثبتن للاولياء الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

على أننا نحن أبناء الشرق مهد الانوار والاسرار ، كيف يخفى علينا ما يحتويه الشرق العريق فى الايمان من رجال أتقياء ، تلقوا من الفيض الالهى ما رفعهم الى مقام من لو أقسم على الله لابره ، بل انى استطيع أنا شخصيا أن أصرح بأنى شاهدت فى طفولتى من كرامات أولئك الاتقياء مالا يمحى أثره من نفسى مدى الحياة .

● الدكتور محمد مصطفى حلمى

الواقع ان الدكتور غلاب أفاض كعهده ، فقد عرض للكرامات عرضا موضوعيا ، ثم أخذ بعد ذلك يبدى رأيه ، أو رأى المتقدمين الذين أثبتوا الكرامة وآمنوا بها ٠

على ان الدكتور غلاب ، ذكر الحلاج على سبيل المثال، وقال أنه لقى مالقى عقوبة له على اباحته لاسرار الربوبية ، واحب ان أفهم أولا ، ماذا يعنى بسر الربوبية هنا ، كى يتبين لنا وجه الاتصال بين هذا السر وموضوع الندوة : وهو الكرامة

الحلاج لقى حتفه وعوقب عقابا شنيعا ، لانه زعم زعما خطيرا ، ادعى فيه الالوهية بمقالته المشهورة « أنا الحق » ففهم الظانون ، أو فهم المحجبون أنه حينما يتحدث فكأنه يتحدث بلسان الله سبحانه ٠

أما موضوع الكرامة ، فأمر يختلف عن هذا كل الاختلاف ، فما هو اذن وجه المناسبة هنا ، ان الحلاج قد عوقب على دعوى هائلة ادعاها ٠

● الدكتور محمد غلاب

أنا اتفق مع الدكتور حلمى ٠ والخلاف هنا لفظى ، فمأساة الحلاج قد أثارتها أحقاد شخصية ، ثم أنه لما أظهر الكرامات وأسرف فيها وهتك حجابها ، سلط الله عليه المحجوبين فاتهموه ٠ أى أنه عوقب من الله سبحانه لانه لم يصن سر الكرامة ، ولم يقصرها على الهدف المراد منها

● الدكتور محمد يوسف :

يسأل الدكتور حلمى عن سر الربوبية ، ماهو ؟ وما المراد منه ؟ ولم نسمع الى الآن تفصيلا له وبيانا ؟

● الدكتور محمد غلاب :

من أسرار الربوبية الكرامة ، والحلاج اذاع الكرامة ، وجعلها دليلا على مايذهب اليه ،وهذا التدليل الذى لاينبغى الا للانبياء سبب نكبته ومأساته

● الدكتور محمد مصطفى حلمى :

اذا كانت الكرامة محظورة على الولى فلماذا يجريها الله سبحانه على يديه؟ ولماذا يطلب منه ان يحجبها وقد اكرمه بها ؟

● **الدكتور محمد غلاب :**

قلت ان الكرامة فضل الله يجريه على يدى من يشاء من عبـــاده ، ولكن الخطر هو فى اذاعة اسرار الكرامة ، أو التباهى بها ٠

● **الدكتور محمد مصطفى حلمى :**

اذن فما هى الحكمة من اجراء الكرامة على يد ولى ، اذا لم يكن من ورائها المعرفة ، ليقتدى الناس بهذا الولى ٠

● **الدكتور محمد غلاب :**

قلت ان المطلوب من الولى هو قصرها على محيط ضيق خاص بين مريديه واصفيائه ليسير واعلى نهجه ٠ ويصحبوا بدورهم هداة للناس ، ومصابيح للدعوة والارشاد ٠

● **محمد هارون الحلو :**

كيف يهان الحلاج هذه الاهانة البشعة ، بعد أن كرمه الله وأجرى على يديه الكرامات ٠ ما هذا التناقض ؟ مع ان المفروض ان العناية الربانيـــة تلازم الولى وتصاحبه

● **السيد ميرغنى الادريسى :**

ان ما اصاب الحلاج كان امتحانا من الله سبحانه ، وليس باهانه ، انه ابتلاء وتطهير ورفع درجات

ورسل الله عليهم الصلاة والسلام ، وهم أفضل خلق الله واكرمهم عند ربهم ، قد امتحنوا أو ابتلوا وعذبوا وقتلوا ، ولم يقل أحد انهم قد أهينوا أو تخلت عنهم عناية الله ورحمته

ان ما يصيب صاحب العقيدة والدعوة ، فى سبيل عقيـــدته ودعوته ، ليس باهانة ٠ انه كرامة وبطولة ، وجهاد وطاعة ٠

والرسول صلوات الله عليه يقول : « اشدكم بلاء الانبياء ثم الامثـــل فالامثل »

وجاء فريق من الصحابة الى رسول الله صلوات الله عليه يشـــكون مما تصب عليهم قريش من عذاب وعدوان ٠ فغضب حتى برز عرق فى جبينه ثم قال : « لقد كان من قبلكم يؤخذون فيمشطون بامشاط الحـــديد حتى يفصل اللحم من العظم ٠ فصبروا ولم يهنوا » والله سبحانه يقول فى محكم كتابه مخاطبا المؤمنين من عباده « **أم حسبتم أن تدخلوا الجنـة ، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا** »

(البقية على صفحة ٦٩)